المرتكزات المنهجية في قراءة أركون للتراث الإسلامي

بقلم

فاروق جباري أ.د/ فارح مسرحي

جامعة الحاج لخضر ـ باتنة ـ1ـ

m.fareh@yahoo.fr

المقدمة:

أربعة عشر سبتمبر 2010 تمر ثمانية سنوات على رحيل المفكر الحداثي الجزائري محمد أركون صاحب أحد المشاريع الفكرية المتفردة التي ناقشت وانتقدت العقل الإسلامي، محاولا البحث والتنقيب عن الأسباب الموضوعية لتراجع وتخلف العقل الاسلامي، عن المسيرة الحضارية فالاشتغال الفلسفي الأركوني كان على عدة ورشات من بينها ورشة نقد الاستشراق وورشة نقد الحداثة الغربية وورشة نقد التراث الإسلامي، ففي هذه الورشة أراد أركون تأسيس فكر نقدي إبستمولوجي للتراث العربي الإسلامي كشرط لقيام الإسلاميات التطبيقية التي يسعى من ورائها لقراءة التراث العربي الإسلامي قراءة منهجية ونقدية، ترتكز على استراتيجيات منهجية وعلى مناهج فكرية غربية معاصرة فأحيانا أركون يستفيد ويستثمر من هذه المناهج، واحيانا أخرى ينتقدها ويتجاوزها لذلك جاء عمل ورقتنا هذه تحت عنوان "المرتكزات المنهجية في قراءة أركون للتراث الإسلامي" مبينين فيه أهم المناهج الغربية التي استقى منها أركون فكره الفلسفي محاولا تجاوز الإسلاميات الكلاسيكية ومؤسسا لإسلاميات تطبيقية، من خلال الاستفادة من منجزات هذه المناهج، وتتجلى أهمية هذه الدراسة في رصد وكشف وتعدد المناهج التي وظفها أركون في قراءته للتراث باعتبار أن مشروعه جديدا وجادا مع توضيح مدى قيمة وحدود الاستفادة الأركونية

من هذه المناهج، وانطلاقا مما سبق أصبح من المشروع طرح الإشكالية التالية: ماهي المرتكزات التي يرتكز عليها أركون في مقاربته للتراث الإسلامي؟ والى أي مدى نجح أركون في تبيئة هذه المرتكزات في السياقات العربية الإسلامية؟.

تعتبر الفلسفة الأركونية محل اشتغال ودراسة من طرف الباحثين والدارسين ومن أهم الدراسات نذكر منها ما يلي:

الدراسة الأولى: فارح مسرحي، المرجعية الفكرية لمشروع أركون الحداثي: اصولها وحدودها: دراسة تحليلية نقدية مقارنة، (أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم، جامعة باتنة 1،2011) والتي نال من خلالها جائزة محمد أركون سنة 2016 والتي تمنحها مؤسسة محمد أركون للسلام بين الثقافات في المغرب بالشراكة مع الأكاديمية اللاتينية ريو ديجانيرو بالبرازيل، حيث تناول فيها المرجعيات الإسلامية والغربية المشكلة للخطاب الأركوني بطريقة تحليلية ونقدية معمقة.

الدراسة الثانية: مصطفى كيحل، الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، (أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة منتوري بقسنطينة، 2007)، حيث تطرقت إلى نزعة الأنسنة وعلاقتها بالتأويل عند محمد أركون،

الدراسة الثالثة: أسماء حديد، تاريخانية فهم النص القرآني عند محمد أركون: قراءة في المرجع والإجراء، (أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم، جامعة سطيف، 2017)، حيث تناولت خطاب الحداثة الدينية عند محمد أركون وعلاقتها بتاريخية الفهم والتي تستلزم مسلكا تأويليا لإنجاز الفهم.

وفي دراستنا هذه اعتمدنا على المنهج التحليلي النقدي وذلك بتحليل الفلسفة الأركونية الحداثية ومقاربتها من مختلف المناهج الغربية هذا من جهة ومن جهة أخرى ممارستنا النقدية لفكر أركون وهذا من أجل الوقوف على قيمة وحدود المشروع

الأركوني.

وقد حاولنا تقديم دراستنا في ثلاث محاور أساسية فجاء المحور الأول بعنوان: أركون مفكر الأنسنة، وأما المحور الثاني كان بعنوان: انفتاح واستفادة المشروع الأركوني من مناهج فكرية غربية معاصرة في مقاربته للتراث الإسلامي والذي أدرجناه في عنصرين هما : العنصر الأول: الاستراتيجيات المنهجية الأركونية في قراءته للتراث الإسلامي (الزحزحة –الاختراق والتفكيك –التجاوز)، أما العنصر الثاني : حضور المناهج الفكرية المعاصرة في المتين الأركوني في مقاربته للتراث الإسلامي ...من الاستفادة ...الى التجاوز وقسمناه إلى اربع نقاط:

أ- الاستفادة والانفتاح على كل المنجزات المدارس اللسانية وعلم اجتماع المعرفة لبيير بورديو

ب- حضور المنهج التفكيكي الدريدي في مساءلة التراث عند أركون.

ت- التوظيف الأركوني "لإبستيمية" ميشال فوكو في تحديد سمات العقل الإسلامي.

ث- استحضار أركون للدراسات الأنثربولوجية لكل من جورج بالانديه وروجيه باستيد في قراءتهما للتراث الإسلامي.

أما العنصر الثالث: في نقد القراءة الأركونية للتراث الإسلامي.

وفي الأخير خاتمة مع مجموعة من التوصيات .

أنجزت هذه الورقة خصيصا للملتقى الدولي الذي يحمل عنوان القراءات الحداثية المعاصرة للعلوم الاسلامية بمعهد العلوم الاسلامية بجامعة حمة لخضر بالوادي.

1/ أركون مفكر الأنسنة :

يتأسس المشروع الأركوني أساسا حول فكرة الأنسنة، فقد حاول محمد أركون تدشين نزعة إنسانية كونية، وذلك من خلال الخروج من أنظمة الاستبداد المتبادل القائمة على المنظومات اللاهوتية والإيديولوجية الموروثة عن الماضي والمغلقة على ذاتها عقائديا وفكريا، وقد خصص أركون ثلاثة أعمال لمفهوم الأنسنة مع التراث والتاريخ الحاضر الإسلامي وهي على التوالي :

نزعة الأنسنة في الفكر العربي ، جيل مسكويه والتوحيدي ترجمة هاشم صالح سنة1997 ، وكتابه الثاني بعنوان: من أجل الأنسنة في السياقات العربية الإسلامية، سنة 2000، ترجمة هاشم صالح سنة 2001، وكتاب ثالث بعنوان: الأنسنة والإسلام ترجمة محمد عرب سنة 2010.[1]

يعتبر مفهوم الأنسنة من المفاهيم المحورية في الفلسفة الأركونية، فأغلب إنتاجه الفلسفي خلال خمسين سنة نلاحظ حضور هذا المفهوم سواء علانية أو إظهارا باعتباره الرؤية التجاوزية للأيديولوجيات المهيمنة على الفكر الإسلامي. ولتجاوز الرؤى الأيديولوجية الضيقة نحو فضاء الأنسنة الأرحب المعبر عن الشق العملي في المشروع الأركوني، وواحدا من الأطر الاجتماعية الضرورية من أجل الحرية والإبداع والتطور ، وقبل ذلك من أجل تجاوز الخلاف والصراع المفضي إلى العنف ، فمفهوم الأنسنة يميل إلى تكريس وحماية حقوق الإنسان ولا يتحقق ذلك الا من خلال فتح المجال للحوار والتسامح والاحترام المتبادل للآراء والتعايش والحق في الاختلاف.[2] إن الأنسنة هي بمثابة قطيعة مع الخلافات والصراعات المذهبية والأيديولوجية

[1] فارح مسرحي :آفاق المشروع الفكري لمحمد أ ركون ، أعمال ندوة قراءات في مشروع محمد أركون ، الجزائر مخبر الدراسات الفلسفية والإكسيولوجية ،2011 ،ص49.

[2] فارح مسرحي :المواطنة والأنسنة ، الجزائر ، منشورات الوطن اليوم ، ط1، 2017، ص70.

المكرسة لثقافة العنف ولن يتأتى ذلك الا بتوفر ترياق يتأسس على الحوار والاحترام المتبادل بين الناس والتعايش والحق في الاختلاف.

فالأنسنة هي الحل للخروج "من العقل الديني الى العقل النقدي"، فهي التي تؤهل الإنسان الى المشاركة الفاعلة في المنجز الثقافي والحضاري الإنساني، وهو ما يجعل عودتنا إلى الخطاب الأنسني ضرورية، إذا أراد المسلمون فتح أفاق جديدة قوامها المشترك الإنساني، فاللحاق بالحداثة يقتضي منا الوعي بأنها فعل كوني مشترك يؤدي الى تأسيس قيم إنسانية (التسامح ، حرية المعتقد،....) لتحقق لجميع البشر السلم والسعادة، ولكي ينشر هذا الوعي الجديد في الفكر الإسلامي، علينا أن نجدد الرؤية الدينية، ولن يكون ذلك ممكنا مالم نفتح أبوابا ظلت موصده لأزمنة بعيدة، ذلك أن من شأن البحث في قضايا مسكوت عنها، يعيد للإسلام بعده الروحي[1].

ويراهن أركون على أهمية وضرورة تأسيس الموقف الانسني الكوني قائلا: "لاريب اننا في حاجة الى نزعة إنسانية واسعة تصلح لجميع البشر والبحث عنها ملح وضروري"[2].

لكن السؤال الذي يتبادر الى الذهن ، ماذا يعني أركون بالأنسنة فيجيبنا محمد أركون في كتابه "نزعة الأنسنة في الفكر العربي" قائلا: "هذه هي النزعة الإنسانية الشاملة التي نسعى إليها وإنها تتجاوز حدود الأديان والطوائف والقوميات والأعراق لكي تصل الى الإنسان في كل مكان، والا فلن يكون هنالك نزعة إنسانية حقيقية فهي إذا استثنت إنسانا واحدا من نعيمها، تكون قد فقدت إنسانيتها، إننا نسعى الى تحقيق

[1] محمد إدريس : الإسلام وسلطة الفاعلين الاجتماعيين ، قراءة في بعض أسس مشروع إعادة بناء العقل الإسلامي وحدوده ، الرباط ، مؤمنون بلا حدود ، 2017،ص07.

[2] فارح مسرحي : المواطنة والأنسنة ، مرجع سابق ، ص70.

الفلسفة الإنسانية الكونية والمحسوسة، ونعتبر ذلك مهمة ملقاة على عاتق إنسان القرن الواحد والعشرون"[1].

إن المشروع الأركوني الأنسني مشروعا تواقا الى إنسانية كونية رافضا للعرقيات والإثنيات والقوميات همه الوحيد الإنسان ثم الإنسان من أجل الإنسان بمختلف أجناسه وأطيافه وانتماءاته .

ويستمد أركون معنى الأنسنة من متون فلسفية إسلامية في القرن الرابع والخامس هجري التي تشكلت في التاريخ الإسلامي بفضل شخصيات متميزة كالجاحظ والتوحيدي ومسكويه وغيرهم، ويحاول تجاوزهم أيضا لأن نزعتهم الأنسنية كانت بسيطة ومؤقتة جدا، فرغم كونه يشيد بأعمال هؤلاء والبعد الأنسني الذي مثلوه إلا أنه يعتبر مواقفهم آنذاك تعبر عن أنسنة قروسطية، أي أنها مرتبطة بإطارها الزمكاني (الدولة الإسلامية في القرون الوسطى)[2].

ويشترط أركون لترسيخ فعل الأنسنة في الفضاء العام في السياقات العربية الإسلامية والانفتاح على الثقافة الحديثة والاعتراف بالتعددية المذهبية والثقافية واللغوية الذي هو صفة من الصفات الأساسية والتأسيسية للموقف الإنساني[3]، وهو الموقف الذي يلتقي فيه أركون مع إدوارد سعيد الذي يعتبر الأنسنة تساؤل وإقلاق وإعادة صياغة للكثير مما يقدم لنا مغلقة على النقاش ومشفرة على نحو غير نقدي .

يؤكد أركون على ضرورة إعادة الاعتبار للإنسان وللنزعة الإنسانية في المجتمعات العربية التي تشهد وقائع وأحداث كثيرة على خلوها من الحريات بمختلف مظاهرها

---

[1] محمد أركون : نزعة الأنسنة في الفكر العربي ، تر: هاشم صالح ، بيروت ، دار الساقي ، ط1، 1997، ص29.

[2] فارح مسرحي : المواطنة والأنسنة ، مرجع سابق ،ص71.

[3] فارح مسرحي ، المرجع نفسه ،ص ص71-72.

وعلى الانتهاكات المتكررة لحقوق الإنسان، ولذلك جاء أركون مؤكدا على أنه ينبغي علينا أن نتعرف عندما نفتح أعيننا على المجتمعات الإسلامية والعربية أنها خالية من الحريات، فحرية التعبير مفقودة وحرية الصحافة كذلك، وحرية التعليم والتربية ولا شيء مضمون فيها يخص حقوق الإنسان.[1]

فالدولة تعاني في العالم العربي الإسلامي من أزمة السيادة، لأنها اقتنصت السلطة بأساليب غير شرعية ، والحالة السياسية الأكثر انتشارا في هذه الدول (الدول العربية والإسلامية بعد الاستقلال) هي حالة الزعيم التاريخي وهكذا يلاحظ أركون "أن هنالك دائما اقتناص للسلطة ضمن إطار من التحسيس والتعبير الديني " حيث استولت السلطة السياسية على السلطة الدينية (الروحية) وأن العقل التدبري للدولة هو الذي اقتضى وجود سيادات عليا بدون سلطة ، وسلطات سياسية بدون سيادة ومشروعية.[2]

والسبب الرئيس القابع وراء هذا الوضع المزري هو غياب المفهوم الحديث للدولة، دولة المؤسسات لا الأشخاص ، أي دولة القانون التي تعامل أفرادها كمواطنين لا كرعايا معزولين عن الحياة السياسية وغير مشاركين في وضع القوانين واتخاذ القرارات المتعلقة بتسيير شؤونهم، فالأنسنة في عمقها مرتبطة بمفهومي المواطنة والمجتمع المدني المرتبطين بدورهما بمفهوم الديموقراطية، إذا المواطنة هي الوصف السياسي لأفراد المجتمع المنضوين تحت دولة –وطن- تتبنى الخيار الديموقراطي كنظام للحكم والتسيير وهي وضعية تسمو على وتجعل العلاقة مع الدولة علاقة شراكة في

[1] فارح مسرحي : المرجع نفسه ،ص 73.

[2] مصطفى كيحل : الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون ، الجزائر ، منشورات الإختلاف ، ط1 ،2001. ص219.

الوطن، والعلاقة التشاركية غير علاقة التبعية مثلما هو الشأن في ظل الأنظمة الاستبدادية والإقطاعية التي يعتبر فيها الأفراد رعايا لا مواطنين.[1]

ويرتكز أركون على فكرة الآخر باعتباره ركنا من أركان الموقف الأنسني، فينبغي للمسلم المغاربي الذي ينبغي له أن يعيش هموم المتوسط الحداثي بعيدا عن مشاكل العالم القديم، وما يمكن أن يفرزه هذا الأخير الذي لايزال يحافظ على قدامته ويتعصب لها ، هذه السمة المتوسطية وتنتج إنسانا متسامحا يعيش داخل قيم التعدد والاختلاف وتفرز الإخاء والمحبة والتسامح وتبتعد عن التعصب والطائفية، حيث أنه من سمات الفضاء المتوسطي الاعتراف بالآخر.[2]

واستعمال أركون لمصطلح الأنسنة بدل مصطلح حقوق الإنسان مرده كون هذا المصطلح الأخير بالنظر الى المعطيات الراهنة، قد أصبح مفرغا من محتواه نظرا للتوظيف الأيديولوجي الذي تعرض له من قبل كل الأطراف، حيث أصبح ذريعة تستعمله الدول العظمى للضغط على الآخرين أكثر مما تتقيد به في تعاملها معهم، والأمثلة على ذلك كثيرة على رأسها تدخلات الدول الغربية المتزايدة في العديد من الدول العربية والإسلامية على وجه الخصوص، وليس واقع حقوق الإنسان في الداخل العربي بأحسن مما هو عند غيرهم.[3]

2/ إنفتاح واستفادة المشروع الأركوني من مناهج فكرية غربية معاصرة في مقاربته للتراث الإسلامي :

إن الخطاب الأركوني هو خطاب منهجي بامتياز بمعنى أن المتمعنين في بنية النص الأركوني تجد أن أركون يوظف مناهج فكرية غربية في مساءلته ومقاربته للتراث

[1] فارح مسرحي : المواطنة والأنسنة ، مرجع سابق ، ص73.
[2] اليامين بن تومي : أمراض الثقافة ، الجزائر ، منشورات الوطن اليوم ، ط1، 2017،ص33.
[3] فارح مسرحي : المواطنة والأنسنة ، مرجع سابق ، 82.

الإسلامي فيستحضر أركون مفاهيم جديدة غير متداولة في السياق العربي الإسلامي فقبل التطرق الى رصد وتحليل أغلب المناهج الفكرية الغربية التي إستفاد منها واستثمرها أركون في مشروعه أو التي تجاوزها، يجب علينا التساؤل عن الاستراتيجيات الأركونية في قراءته للتراث؟

أولا: الاستراتيجيات المنهجية الاركونية في قراءته للتراث الإسلامي :(الزحزحة– الإختراق والتفكيك –التجاوز).

كما هو معروف أن الاستشراق يشتغل عن الماضي وينتج إسلاميات كلاسيكية، إن تعقد الموضوع المدروس يجعل من الضروري تعدد وتنوع المناهج، وهذا التعدد المنهجي وحسب أركون يمكن تطبيقه وفق ثلاث خطوات والتي يشتغل وفقها محمد أركون:

أ- الزحزحة: معناها محاولة طرح الموضوع بطريقة مغايرة للمألوف والعادة، بمعنى حسب الظواهرية هي نوع من التخلي عن الأحكام المسبقة، فهي إخراج الموضوع من الأحكام المسبقة والضيقة.

ب- الاختراق : هو الدخول في التفاصيل الجزئية لهذا الموضوع ومحاولة تفكيك بنية هذا الموضوع.

ت- التجاوز: الخروج بحلول ،بمعنى تجاوز الرؤى الأولى السائدة حول هذا الموضوع.

فهذه الاستراتيجية المنهجية الأركونية وظفها أركون لقراءة التراث، وهذا ما اصطلح عليه أركون بالإسلاميات التطبيقية ، فأول عملية يباشر بها أركون هي عملية الزحزحة فأركون يزحزح مفهوم التراث من المفهوم المألوف والمتداول الى مفهوم آخر، ثم تأتي مرحلة الاختراق بمعنى تفكيك هذا التراث والتعرف عليه من الداخل حول الظروف والحالات السياقية، وآلية إنتاجه، بحيث أبعد نقطة يمكن أن نصل

إليها في مرحلة الاختراق والتفكيك، تتمثل في معرفة العناصر الأساسية التي أصبحت تراثا، بمعنى رصد وتشخيص كيفية إنتاج العقل الإسلامي من إنتاجه للتراث، ثم تأتي الخطوة الثالثة في تعامل أركون مع العقل الإسلامي، وهي مرحلة التجاوز واقتراح البديل، بمعنى بيان السبل الكفيلة بردم الهوة الفاصلة بين العقل الإسلامي والعقل الحديث، وبتغييره لابد من تفكير اللا مفكر فيه إذ يقول "إن هدفي يكمن في جعل "المستحيل التفكير فيه " أو اللا مفكر فيه "شيئا ممكن التفكير فيه داخل ساحة الفكر الإسلامي أو العربي المعاصر "[1].

ثانيا : حضور المناهج الغربية في مقاربة أركون للتراث الإسلامي من الاستفادة الى التجاوز:

لا يلتزم أركون بمنهج واحد يخضع له موضوع بحثه، وإنما نجده يتنقل من منهج الى آخر حسب طبيعة الموضوع، وبحسب ملائمة المنهج للموضوع او عدم ملائمته فالموقف المنهجي الأركوني يتميز بالتعدد، وهو موقف المنهجية التداخلية المتعددة الاختصاصات، وهذه الاختصاصات متعددة ومختلفة اختلاف العلوم الإنسانية والاجتماعية الحديثة .[2]

أ. الاستفادة والانفتاح على كل منجزات المدارس اللسانية وعلم اجتماع المعرفة لبيير بورديو.

اهتم محمد أركون "بمنهجية الألسنيات" حيث عرف هذا العلم تطورا في مطلع الستينات من القرن الماضي مع أعمال "دي سوسير" و"جاكبسون وبنفينيست"

[1] فارح مسرحي : المرجعية الفكرية لمشروع أركون الحداثي : أصولها وحدودها ، رسالة مقدمة لنيل دكتوراه علوم ، جامعة باتنة 1،2011 ،ص149.

[2] مصطفى كيحل : الأنسنة والتأويل ، مرجع سابق ،ص27.

فأركون باعتباره مؤرخا للفكر العربي الإسلامي مطالبا بالاشتغال على النصوص القديمة وبالتالي عليه أن يعرف كيف يقرأ النصوص ويفكك لغتها ألسنيا .[1]

فنجد أركون يوظف في قراءته للنصوص الإسلامية ترسانة مفاهيمية كبيرة هي نتاج الجهد الذي بذله علماء الألسنة في الغرب فنجده يعود إلى أعمال "إيميل بنفينيست" فيتكلم عن مفهوم شبكة العلاقات بين الضمائر أو الأشخاص المتكلمة ومفهوم الوضعية العامة للخطاب وذلك بالاعتماد على كتابه "مسائل في علم الألسنيات العامة كما يعود إلى "قريماس" ليوظف مفهوم البنية العاملية ليحدد مجموع الضمائر التي تتصارع داخل النص كما يحدد التواصل اللغوي في النص القرآني على النحو التالي:

مرسل ⟵ رسالة ⟵ مرسل إليه، كما يوظف مفهوم التداخلية النصانية، كما يستعين أركون بنظريات القراءة المختلفة ومنها نظرية التلقي فيحيل إلى مدرسة كونستانس وخاصة "هانس ر.جوس" في كتابه من أجل جماليات التلقي.[2] ولإنجاز المقاربة السيميائية الألسنية، يشترط أن يكون على الباحث شرطين مهمين هما:

- ضرورة الإحاطة بالأرضية المفهومية الخاصة باللسانيات والسيميائيات الحديثة مع ما يصاحبها من أطر التفكير والنقد الإستبمولوجي.
- التدرب على التميز بين الاحتجاج والإدراك والتأويل والتمييز الذي يتم في الإطار المعرفي العقائدي الدوغمائي بين التحليل والتفكيك للخطاب الديني الذي يستهدف إبراز آليات العرض والإقناع والتبليغ والمقاصد المعنوية للنصوص.[3]

---

[1] مرجع نفسه ،ص29.

[2] مرجع نفسه ، ص 30

[3] فارح مسرحي :الحداثة في فكر محمد أركون ،الجزائر، منشورات الاختلاف ،ط1، 2006 ، ص 111-112.

ويصل أركون إلى فكرة مهمة إلى أن التحليل السيميائي للقرآن الكريم يقود إلى ثلاث مفردات أساسية وهي "المرسل، الرسالة والمرسل إليه" التي جاء بها "قرياس" وفي هذا الصدد يقول أركون "إذا ما أنجزنا التحليل السيميائي بشكل صحيح ودقيق، فإن ذلك لن يؤدي بالضرورة إلى إنكار دور الذات الحرة في توليد المعنى وتحديده، وإنما سوف نكشف بوضوح كيف أن الخطاب ككل مفبرك أو مركب لغويا طبقا لتقنية الإقناع، الاحتجاج والتأسيس، أو التعليم، وباللغة السيميائية يمكننا القول بأن كل وحدة نصية من وحدات الخطاب القرآني مبنية على أساس سلسلة متسلسلة من الأحداث المركبة على هيئة بنية دراماتيكية أو مسرحية مثيرة".[11]

ومن بين الفلاسفة وعلماء الاجتماع الذي تحضر مصطلحاتهم بقوة في المتن الأركوني عالم الاجتماع الفرنسي "بيير بورديو" مثل مصطلح "رأس المال الرمزي" وبالرغم من أن مصطلح الرأسمال الرمزي ظهر عند "ماكس فيبر" فينبئ إلا أنه عرف انتشارا وتداولا مع بير بورديو في العديد من أعماله لاسيما التي خصصها الدراسة الثقافة الشعبية في منطقة القبائل بالجزائر، ويلقبه الكثير من المختصين بصاحب "الثورة الرمزية" نظرا لاستخدامه الكثيف لمفهوم الرمز وتمظهراته المختلفة كالعنف الرمزي، الرأسمال الرمزي، السلطة الرمزية.....إلخ.

ويطبق بورديو فكرة الرأس المال الرمزي على كل ثقافة في طور التطور والنشوء تصنع لنفسها رأس مال معين من الرموز لتشكل بها بنيتها، وهذا ما يفعله الإعلام مثلا تجاه الجاهلية حيث استبدل رمزانية قديمة برمزانية حديثة حيث يعتمد بورديو إلى تقسيم المجتمعات إلى عدة قطاعات أو وحدات مثل الساحة الدينية والساحة

[1] محمد أركون من التفسير الموروث الى تحليل الخطاب الديني ، تر هاشم صالح ، لبنان،دار الطليعة ط2005،2،ص35.

السياسية والساحة الاقتصادية، وكل ساحة لها لاعبوها وقوانين لعبتها الداخلية، ومصطلح التمثل حيث تعتبر أن كل ثقافة جديدة تتمثل وتستوعب بعض العناصر والقيم من الثقافة الموجودة قبلها، والتي من دون تمثله يستحيل على المجتمع الجديد أن تقوم له قائمة، فالإسلام بحسب أركون تمثل عناصر من الثقافة الجاهلية مثل الكرم وقانون الشرف.[1]

فتعاليم الإسلام من منظور أركون تعد رأسمالا رمزيا، تعمل العديد من الحركات الإسلامية على استغلاله من أجل تعبئة الجماهير والوصول إلى السلطة، فالهدف من الاستعانة الأركونية بالتحليل السوسيولوجي لبير بورديو هو تفويض الفكرة التي يؤمن بها المسلمون والقائلة بتعالي الإسلام على الأمور الدنيوية التاريخية المتحولة لكن الواقع الاجتماعي عكس ذلك، فالظاهرة الدينية هي ظاهرة من الظواهر الاجتماعية تلاحظ وتوصف كسائر الاوضاع الاقتصادية والسياسية والثقافية.

ب. حضور المنهج التفكيكي الدريدي في مساءلة التراث عند أركون:

وإلى جانب بير بورديو يحضرا أيضا دريدا بقوة في نصوص والمعالجات الاركونية، فنجد أركون يستمد بعض أفكار دريدا من خلال كتاب "علم الكتابة"، فدريدا يعمل على نقده الميتافيزيقا الكلاسيكية وتفكيكها لأن أركون يعمل من جهته على تفكيك العقل الاسلامي وعمل دريدا هو إمتداد لعمل نيتشه وماركس وفرويد والذين بلوروا حسب أركون منهجية الشك[2].

فأركون يوظف أدوات الفعل الفلسفي المعاصر باستحضار منهجية الاختراق التفكيكية التي جاء بها دريدا، محاولا تعرية طبقات النص التي حاولت أن تختفي من

[1] فارح مسرحي : التراث والهوية ، الجزائر ، منشورات الوطن اليوم ، ط1، 2017، ص 26
[2] مصطفى كيحل : الأنسنة والتأويل في فكر أركون ،مرجع سابق ،ص 37.

وراء النظريات والتشكيلات المذهبية، من أجل نزع البداهة والقداسة عن النص، فالتفكيك عند أركون ينطلق من التشكيك مما يزعمه الخطاب الديني من قول الحقيقة، مبينا كل محاولات العقل نحو تجاوز الدوغمائية المرتبطة بشدة وبصرامة بمجموعة من المبادئ العقائدية، وبعيدا عن القراءات السطحية الهامشية للنص يدعونا أركون إلى قراءاته بصورة زمنية، ويؤكد أركون على ضرورة النظر إلى النص على أنه مجموعة متراكمة ومتلاحقة من العصور والحقبات الزمنية فالتفكيك يمثل آلية مهمة لاختراق وتعرية طبقات النص إلا أن أركون في قراءته للفكر الإسلامي يشير على الحرص بالالتزام بمبادئ المعرفة العلمية، وإحترام حقوقها مهما يكن الثمن الإيديولوجي والسيكولوجي والاجتماعي فقراءة النص هي محاولة لا تنغلق على ذاتها بادعاء امتلاك حقيقة النص بل هي آليات أكثر عملية، تتمثل في آليات الهدم والاختراق والحفر والتفكيك، آليات أقل ما يقال عنها أنها تمتلك القدرة على فهم إخفاءات بواطن تراثنا المعرفي، تضعنا أمام التعبئة اللامنقطعة للاكتشاف والبحث عن أسرار الفكر الإسلامي، وتمتلك قراءات أركون جرأة المواجهة، تواجه وبشدة الخطابات المضخمة، التي تأسطر التراث وتصنمه.[1]

لقد تجاوز محمد أركون التفاسير والشروحات إلى نقد الوحي نفسه وذلك بالتعامل معه كمعطى يخضع للمعرفة النقدية مسندا بذلك الى آليات النفس والتفكك في تحريك اللا مفكر فيه وتعريته من خطاب حاول أن يأسطره وفي تفكيك هذا يستعمل آليات ثلاث:

[1] عبد القادر بودومة : الحداثة وفكر الاختلاف ، الجزائر ،منشورات الاختلاف ،ط1، 2003 ، ص103.

- الاختراق: تخترق المحظورات، الممنوعات والممتنع والخوض فيه وخاصة الطابوهات وجدار الصمت ثم يوظف الإزاحة فالتفكيك عند أركون يتطرق من التشكيك والمساءلة الارتيابية بما يزعمه الخطاب الديني من قول للحقيقة.

ت. التوظيف الأركوني "لإبستيمية" ميشال فوكو في تحديد سمات العقل الاسلامي:

إن المشتغل على النص الأركوني يسهل عليه أن يدرك الحضور القوي للفلسفة الفوكوية ومفاهيمها ومصطلحاتها ومن بين هذه المفاهيم الفلسفية لفوكو المفهوم الإبستيمي فقد ترجمها هاشم صالح تحت إسم "المنظومة الفكرية" أو "نظام الفكر".

أما مختار الفجاري ترجمها تحت إسم المجال المعرفي الأصولي، ومفهمة لإبستيمية تتلخص في كونها جملة من المسلمات الضمنية التي تتحكم بكل الانتاج الفكري في فترة زمنية معينة دون أن تظهر إلى السطح فمثلما ميز فوكو بين إبستيمى الفكر الإسلامي الكلاسيكي وإبستيمي الفكر الحديث، يميز أركون بين ابستيمي الفكر الاسلامي الكلاسيكي وإبستيمي الفكر المعاصر.[1]

فالمعنى الحقيقي الإبستيمية الخاصة بالعقل الانساني والتي تضم مجمل المسلمات التي يتكئ عليها العقل أثناء انشغاله في كون هذا العقل أو طريقة التفكير هذه يتم الخلط فيها بين الأسطوري والتاريخي مكرسا لدغمائية القيم الدينية والأخلاقية، ولتأكيد تفوقية المؤمن على غير المؤمن والمسلم على غير المسلم وتقديس اللغة ثم التركيز على قدسية المعنى المرسل من قبل الله ووحدانيته هذا المعنى الواضح والمنقول عن طريق الفقهاء بالإضافة إلى العقل أبدي فوق تاريخي لأنه مغروس في كلام الله[2].

[1] مصطفى كيحل ، التأويل والأنسنة في محمد أركون ، مرجع سابق ،ص 35.
[2] فارح مسرحي : المرجعية الفكرية لمشروع أركون الحداثي ، مرجع سابق ، ص146.

ث. الدراسات الانثروبولوجية في قراءة أركون للتراث الإسلامي:

يرتكز أركون على الدراسات الأنتروبولوجية المعاصرة لضبط وتحديد مفهوم التراث ومضمونه ويستحضر أركون أعمال جورج بالانديه، ففي هذا الصدد يشبه بالانديه تاريخ البشر بتاريخ الكرة الأرضية الذي ينتج طبقات جيولوجية متراصة فوق بعضها البعض نفس الشيء للتاريخ البشري الذي يتيح أيضا طبقات سميكة ينبغي أن تكشفها العلوم الاجتماعية فيرى أركون أن هنالك ثلاث طبقات من التراث المتداخلة في بعضها البعض مشكلة التراث الاسلامي المقدس مستعملا كلمة السنة للدلالة لا على المذهب السني فقط وإنما على ما يدعوه بالسنة الاسلامية الشاملة أو الكلية لأنه لا يفضل اتجاها على آخر أو فرقة على أخرى باعتباره باحثا غايته الوصول إلى الحقيقة الموضوعية للتاريخ عن طريق دراسة المعتقدات والعادات الاسلامية المتوارثة من جيل إلى آخر منذ العصر التأسيس للإسلام إلي الآن، فأركون يحاول تجاوز التراث الاسلامي المبتور الخاص بكل فئة منعزلة على نفسها وفئة المنكفئة على حقيقتها تحذف ما عداها.[1]

نستخلص أن التراث الإسلامي عند أركون هو تراث كلي، يجمع التراث المكتوب والتراث الشعبي والتراث الخاص بأقليات دون إقصاء أو تهميش.

بالإضافة إلى تأثر أركون بأبحاث ودراسات الأنثروبولوجي "روجي باستيد" فقد استوحى أركون اسم "الإسلاميات التطبيقية" من عنوان كتاب الأنثروبولوجيا التطبيقية لباستيد حيث يعلن أركون صراحة أن بحثه في الإسلاميات التطبيقية يشبه بحث الأنثروبولوجي الفرنسي "روجي باستيد"[2].

[1] فارح مسرحي : الحداثة في فكر محمد أركون ، مرجع سابق ، ص ص91-93.
[2] المرجع نفسه ، ص 105.

قد حاول "روجي باستيد" أن يجعل الأنثروبولوجيا تتعدى الوصف إلى النظري في آثار الأوصاف على المجتمعات المدروسة وهذا ما يريد أركون بلوغه من خلال النموذج الإسلامي، وخاصة أنه مهم بالثقافة الشعبية والتراث الشفوي ولا يهمل التراثات السابقة على الإسلام سواء لدى العرب في الجاهلية أو لدى الشعوب التي تم تعريبها وأسلمتها كالتراث البربري الذي ينتمي إليه أركون نفسه[1].

3/ نقد القراءة الأركونية للتراث الإسلامي:

تعرض المشروع الأركوني النقدي للمسائلة النقدية، فتارة يمدح ويبجل مشروعه من طرف الباحثين والمختصين وتارة يذم مشروعه، ولعل أول مسألة يتفق حولها العديد من قراء أركون تتمثل في طابع الجدة على مستوى المصطلحات والمفاهيم التي يوظفها، فأركون يشتغل حول موضوع المألوف هو "التراث" غير أن اللغة والمصطلحات التي يعرض بها هذا الموضوع غير مألوفة إذ يصدم بكم هائل من المفردات التي لم يسبق الحديث بها عن الفكر الإسلامي وهذه الميزة لقت استحسانا من طرف المفكر اللبناني "علي حرب" الذي اعتبره بأنه مثقف مختص في الفكر الإسلامي يكتب بلغة حديثة ويفكر بطريقة جديدة ومغايرة، كما أن أركون وصديقه هاشم صالح الذي ترجم له معظم كتاباته لهما الفضل في اختراع ونحت العديد من المصطلحات وتوظيفهما في قضايا الفكر الإسلامي، إلى أن الجهاز المفاهيمي والاصطلاحي الأركوني يطرح العديد من الإشكاليات فبعض المصطلحات تعتبر السبب الرئيسي في عدم ولوج بعض القراء إلى عمق أفكاره وعدم القدرة على استيعابها.[2]

---

[1] المرجع نفسه .ص105.

[2] المرجع نفسه ،ص191.

وانطلاقا من إشكال الحقل المفاهيمي عند أركون نفس الأمر نلاحظه عند الوقوف على المناهج التي اعتمدها فرغم استفادته من مختلف المناهج الفكرية الغربية إلى أن مسألة التعددية المنهجية التي تبناها أركون هي محاولة تجعل أفكاره أو فلسفته تشمل مساحة غير محدودة في أطرها وهذا يعني عدم القدرة على مناقشته أو الدخول في المجال الفكري معه بمعنى أنه يخاطب الجميع هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن المفكر أو صاحب المشروع كثيرا ما يلبس عباءة البطل أو المنقذ المخلص فتراه يتحدث في كل علم ويتلذذ بنوع من التفرد والتعالي والمخلص من كل شيء فأركون في كتابه الهوامل والشوامل نجده بأنه يزعم أنه قدم مشروعا منقذا قادرا على تفسير أصول الظاهرة الدينية وهو زعم لا يمكن أن يطاله باحث واحد مهما على كعبه ولا مشروع واحد مهما اتسعت أبعاده.[1]

فالمتصفح للنص الأركوني نجده ترحل في كل المواضيع بلغة الفيلسوف الفرنسي جيل دولوز، وكل مواضيع التي خاض فيها أركون لم تسلم من مطرقته النقدية، فمن النقد العقد الإسلامي والتراث إلى القرآن إلى السنة النبوية الشريفة وغيرها من العلوم الشرعية الأخرى وكل هذا يعتبر من المزالق التي وقع فيها أركون لذلك وصف مشروعه بأنه مشروع تغريبي استشراقي شكلا ومضمونا.

الخاتمة:

نستنتج مما سبق أن مشروع أركون من أهم مشاريع الفكرية في العالم العربي والإسلامي، فلا نفيد أركون حين نقدسه أو نشيطنه فبالإمكان أن نستفيد من أفكاره وليس بالضرورة أن نأخذها كلها فالمهم في المتن الأركوني هو الاستشكال وطرح السؤال ونوعية الأسئلة التي يطرحها فهو يمارس نوع من الأشكلة أكثر من المفهمة،

[1] المرجع نفسه .

فنجده يقدم أسئلة حارقة دون أن يقدم إجابات جاهزة، كما أن العقل النقدي الأركوني غير مسبوق في ثقافتنا المعاصرة فأركون يضع التراث تحت المسائلة النقدية استنادا على آليات نقدية معاصرة، بالإضافة إلى أن العقل الأركوني بعيد عن كل تأثير أيديولوجي متجاوزا كل المذهبيات والسرديات الكبرى فهو مفكر نقدي، عقلاني، صارم، وميزة أركون الأساسية أيضا هو انفتاحه عن الكونية مدشنا نزعة كونية إسلامية انطلق من ومع المثال الإسلامي في مشروع الأنتروبولوجي الفلسفي لإعادة قراءة الظاهرة الإسلامية على ضوء ما تناولناه في هذه الورقة .

وانطلاقا مما سبق يمكننا الخروج بمجموعة من التوصيات أهمها :

1-إعتماد النص الأركوني في المناهج التعليمية .

2-فتح ورشات في مختلف التخصصات لمدارسة الفكر الأركوني .

3-فتح مخابر متخصصة في الفكر الإسلامي عامة والفكر الأركوني خاصة .

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة:

أ- المصادر :

1- محمد أركون : نزعة الأنسنة في الفكر العربي ، تر:هاشم صالح ، بيروت ، دار الساقي، 1997,

2- محمد أركون من التفسير الموروث الى تحليل الخطاب الديني ، تر هاشم صالح ، لبنان،دار الطليعة ط2005،2.

ب- المراجع :

1- فارح مسرحي :آفاق المشروع الفكري لمحمد أ ر كون ، أعمال ندوة قراءات في مشروع محمد أركون ، الجزائر مخبر الدراسات الفلسفية والإكسيولوجية ،2011,

2- فارح مسرحي : التراث والهوية ، الجزائر ، منشورات الوطن اليوم ، ط1، 2017,

3- فارح مسرحي :الحداثة في فكر محمد أركون ،الجزائر، منشورات الإختلاف ،ط1، 2006 .

4- فارح مسرحي : المرجعية الفكرية لمشروع أركون الحداثي : أصولها وحدودها ، رسالة مقدمة لنيل دكتوراه علوم ، جامعة باتنة 1،2011 .

5- فارح مسرحي :المواطنة والأنسنة ، الجزائر ، منشورات الوطن اليوم ، ط1، 2017,

6- عبد القادر بودومة : الحداثة وفكر الإختلاف ، الجزائر ،منشورات الإختلاف ،ط1، 2003,

7- محمد إدريس : الإسلام وسلطة الفاعلين الإجتماعيين ، قراءة في بعض أسس مشروع إعادة بناء العقل الإسلامي وحدوده ، الرباط ، مؤمنون بلا حدود ، 2017,

8- مصطفى كيحل : الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون ، الجزائر ، منشورات الإختلاف ، ط1 ،2001,

9- اليامين بن تومي : أمراض الثقافة ، الجزائر ، منشورات الوطن اليوم ، ط1، 2017.